جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

الإنسان مظهر لوسطية الخلق

إعداد

دكتور: هانئ محمد المهدي

المدرس بقسم مقارنة الأديان ـ كلية الدراسات الآسيوية العليا
جامعة الزقازيق

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

الإنسان مظهر لوسطية الخلق

هانئ محمد المهدي

قسم: مقارنة الأديان كلية الدراسات الأسيوية العليا

المدينة: الزقازيق جامعة الزقازيق الدولة: جمهورية مصر العربية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بيان فكرة أن الإنسان كائن تتجلى فيه مظاهر الوسطية في الخلق لما يؤهله أن يكون النموذج الأمثل للوسطية في هذا الكون ، فقد جاء خلق الإنسان واقعا بين طرفين، أحدهما : علوي، وهم الملائكة، وثانيهما: سفلي وهم الحيوانات. وقد حاز الإنسان على أجود خصائص كلا الطرفين، فهو مخلوق من خير مكونات الكون، وهذا يدل على أن طبيعته خيرة وطيبة في أصلها، وأن فعله للشر أمر طارئ عليه بسبب الجهل أو الخطأ أو النسيان، أو لتأثره بالبيئة المحيطة، وقد زوده الله تعالى بالعقل، ليستخدمه في تزكية نفسه وينتزعها من حضيض الشهوات؛ ليتمكن من تحقيق التوازن والوسطية بين خصائص الملائكة وبين خصائص الحيوانية، مما يعينه على الطاعات ويوصله إلى تقوى الله عز وجل.

ولكي يتم هذا التوازن، فلا بد للإنسان من اتباع ضوابط تحكم تلبية نزعاته الحيوانية وتطلعاته الروحية.

ويأتي هذا البحث لبيان مفهوم الوسطية، وبيان عناصر مكونات الإنسان، وكيف جاءت مكوناته المادية والروحية وسطا بين الخلق، وبيان المتطلبات اللازمة لحياة كل عنصر، والضوابط التي تحكم تصرفات الإنسان ليستطيع تحقيق التوازن بين هذين القطبين المتباعدين (المادة والروح)،وكيف يحقق العيش بين الدنيا وبين الآخرة، كيف يلبي غرائزه الحيوانية وتطلعاته وأشواقه الروحية، مما يجعله المظهر الأمثل للوسطية في هذا الكون. مع بيان جوانب مظاهر تلك الوسطية، والتي تتمثل في :وسطية بنيانه و وسطية سلوكه وسطية تفكيره و وسطية طعامه وسائر احتياجاته، وما مظاهر الانحراف عن تلك الوسطية، وأثر ذلكَ الانحراف عليه.

ويشتمل هذا البحث على النقاط الآتية:

مكونات الإنسان

مطالب الجسد

مطالب الروح

مطالب العقل

مظاهر الوسطية لدى الإنسان.

الكلمات الافتتاحية

وسطية الخلق ـــ الوسطية ـــ خلق الإنسان ـــ أوسط الخلق

Man: the Moderate Creature

Hani Muhammad Al Mahdi Muhammad

Department of Comparing Religions Faculty of Postgraduate Asian Studies

city: Zagazig Zagazig University

Abstract:

This research sheds light on the fact that man is a creature in which the manifestations of moderation are evident. He has good qualifications to be the ideal model of moderation in the universe. Man is the moderate creature between two species of creatures, the angels which are supreme creatures, and the animals which are the lower creature. Man has the best characteristics of the two species. He is created from the best elements in the universe. This indicates the fact that his nature is good and his origin is noble. His evil deeds are just accidental matters which are attributed to ignorance, fallacy, forgetfulness, or the surrounding environment. Allah Almighty granted man the ability of reasoning so that he can purify himself and take it away from lusts. By doing so, he can achieve balance and moderation between the characteristics of both angels and animals. This helps him to be an obedient and pious .person

Man must comply with some regulations that govern his animal tendencies and .spiritual aspirations so that he can achieve this balance

The research illustrates the concept of moderation, describes the components of human creation, and how his material and spiritual components represent the moderate limit among all other creatures. The research explains also the requirements necessary for the life of each component, the regulations governing the human actions so that man can achieve balance between the two divergent poles (materiality and spirituality), and how he can live in a manner that is good in this world and the hereafter. Besides, the research sheds light on the way that man can follow to satisfy his animal instincts and spiritual aspirations to be the ideal embodiment of moderation in the universe. The research refers to the aspects of moderation, which are related to the creation, behavior, thinking, feeding, and all his needs. It also deals with manifestations of deviation from moderation, the effect of that deviation on the man, and the means he may follow to preserve moderation.

Key word: **Moderate Creature- Moderate- human creation - middle of character**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

تضافرت نصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية وأقوال واجتهادات العلماء والباحثين على أن الإنسان أكرم مخلوقات الله تعالى، وأنه محور هذا الكون، ومن يتأمل العلة أو الحكمة من وراء هذا التكريم يجدها عائدة إلى أن الإنسان هو الأنموذج التام لوسطية الخلق، وقد نال بتلك الوسطية تشريف الله تعالى له، إذ خلقه بيديه سبحانه وتعالى،{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص : ٧٥]، وعلمه بنفسه {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة : ٣١]، وأسجد له ملائكته{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا} [طه : ١١٦]، وسخر له {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } [الجاثية : ١٣]، وفضله على سائر المخلوقات، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء : ٧٠]، فكل هذا التكريم ينم عن الوسطية بمعنى الخيرية، فالإنسان خير الخلق، وخير الخلق أوسطهم.

ويبين هذا البحث ملامح أسباب وسطية خلق الإنسان، وكيفية تكوينه، ومظاهر تلك الوسطية، وبيان أسباب الانحراف عنها، ووسائل الحفاظ عليها.

وبالله التوفيق

الإنسان مظهر لوسطية الخلق

الوسطية لغة واصطلاحا:

الوَسَطية لفظة مشتقة من لفظة "الوَسْط" بسكون السين بمعنى "بينَ" فهي ظرف مكان، لا اسم. تقول: جلست وَسْطَ القوم. أي: بينهم. ولفظة "وَسَطَ" بفتح السين. اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه. كقولك: قبضت وَسَطَ الحبل، وكسرت وَسَطَ الرمح، وجلست وَسَطَ الدار. فهي تعني المتَصف والاعتدال.[1]، وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم:" وَسّطُوا الْإِمَامَ وسُدُّوا الْخَلَلَ "[2]أي: اجعلوه في المتصف.

و"الوسط في كلام العرب: الخيار "[3]يقال: فلان وَسَط الحسب في قومه. أي: متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حَسَبِه. قال زهير بن أبي سلمى:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الإلهُ بِحُكْمِهِمْ إذَا نَزَلَت إِحْدَى اللَّيالِي بِمُعَظَّمِ[4]

والوَسَط من كل شيء أَعْدَلَه.عن أبي سَعيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قال رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم:" يُجاءُ بنُوحٍ يوم الْقِيَامَةِ، فيقال له: هل بلَّغْتَ؟ فيقول: نعم يا ربِّ. فتُسْأَلُ أُمّتُهُ هل بلَّغَكُمْ؟ فيَقُولُونَ: ما جاءَنَا من نَذيرٍ. فيقول: من شهُودُكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ. فيُجَاءُ بكُمْ فتَشْهَدُونَ. ثمَّ قرَأَ رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة : ١٤٣]، قال: عدْلًا".[5]أي: جعلناكم

---

[1]ابن منظور، لسان العرب. نشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى. جزء ٧ صفحة ٤٢٨

[2]حديث صحيح رواه أبو داود في سننه باب مقام الإمام من الصف.

[3]ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري، نشر : دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب. جزء ٨ صفحة ١٧٢

[4]الماوردي .أبو الحسن. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة : لا يوجد، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. جزء ١ صفحة ١٩٩

[5]حديث صحيح رواه البخاري في الجامع الصحيح باب " وكذلك جعلناكم أمة وسطا.

عدلا للخلائق.[1]وقال أبو بكر رضي الله عنه في السقيفة: "ولَنْ يُعْرفَ هذا الْأَمْرُ إلا لِهذَا الْحَيِّ من قُرَيْشٍ هُمْ أَوْسَطُ الْعرَبِ نسَبًا ودَارًا" [2]

وتقول العرب : انزل وَسَط الوادي : أي تخيّر موضعاً فيه. ويُقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هو وَسَط قريش نسباً أي: خيرُهم.وقال الله تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم : ٢٨] أي: أخيرهم وأعدلهم[3] وأعقلهم.وفي الحديث: "خير الأمور أوسطها"[4]

"وقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا".[5]

وقال أعرابي يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] السمرقندي. نصر أبو الليث. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم،نشر : دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د.محمودمطرجي. جزء ١ صفحة ١٢٦

[2] البخاري. محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، نشر : دار ابن كثير اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا. جزء ٦ صفحة ٢٥٠٦

٣ السمرقندي. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم .جزء ١ صفحة ١٢٦

٤ حديث إسناده صحيح على شرط الإمام مسلم. رواه مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير في معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول ، نشر : مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان - القاهرة - ١٣٩٢ - ١٩٧٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط جزء ١٠ صفحة ١٣١ وأبو الفضل العراقي، في المغني عن حمل الأسفار، نشر : مكتبة طبرية - الرياض - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أشرف عبد المقصود. جزء ٢ صفحة ٧٥٨

[5] أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي. جزء ٢ صفحة ٨. والسيرة النبوية لابن هشام، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١١ ، الطبعة : الأولى، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد. جزء ٣ صفحة ٧

يا أوسط الناس طرّاً في مفاخرهم وأكرم الناس أمّاً برّة وأبا[1]

ووفد قيس بن نشبة على النبي صلى الله عليه، وكان قيس قد قرأ الكتب، قال للنبي صلى الله عليه: إنه لم يبعث الله نبياً قط إلا وسيطاً في قومه مرضيا، وقد علمنا أنك وسيط في قومك مرضي عندهم [2]"وبعثت السيدة خديجة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له:.. يا ابن عم! إني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك، ووسطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا"[3]

والوسط من كل شيء خياره [4]فأمة الوسط هي خير أمة . قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران : ١١٠]

لفظة "الوَسَط" اصطلاحا:

من خلال ما ورد في كلام العرب من أقوال تبين معنى " الوسطية" وما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من معانيها، يمكننا بلورة مفهوم " الوسطية" بأنه كل أمر واقع بين طرفين اجتمعت فيه محاسن كل منهما وانتفت عنه مساوئهما.

وسطية خلق الإنسان

اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون المخلوقات أربعة أقسام:

---

[1]أبو حيان الأندلسي. محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط ، نشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمدالنجولي الجمل. جزء ٢ صفحة ٢٤٨

[2]محمد بن حبيب البغدادي. المنمق في أخبار قريش، نشر : عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : خورشيد أحمد فارق. جزء ١ صفحة ١٤٤ـــ

[3]ابن إسحاق. سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) ، نشر : معهد الدراسات والأبحاث للتعريف ، تحقيق : محمد حميد الله. جزء ٢ صفحة ٦٠

[4]علي بن عبد الكافي السبكي. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : جماعة من العلماء. جزء ٢ صفحة ٣٦٠ـ

قسم له عقل ولا شهوة له.

وقسم له شهوة ولا عقل له.

وقسم له عقل وشهوة.

وقسم لا عقل ولا شهوة.

فأما الخلق الذي له عقل وليس له شهوة فهم الملائكة، جبلوا على التسبيح والطاعة لله عز وجل{ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء ١٩: ٢٠]{ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦]. وأما الخلق الذي له شهوة ولا عقل له، فهو كل الحيوان خلا الإنسان، وقد اتصف بالفساد وسفك الدماء {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة : ٣٠]، وأما الذي ليس له شهوة ولا عقل فهو الجماد، "وبقي من الأقسام الأربعة قسم، وهو الذي له عقل وشهوة فأوجدت القدرة التامة والمشيئة الكاملة، نوع الإنسان وتمت به الأقسام، فإن رجحت شهوته على عقله التحق بالبهائم، أو صار شرا منها، وإن رجح عقله على شهوته التحق بالملائكة"[1] وصار خيرا منها[2].

---

[1] أبو إ سحق برهان الدين ، المعروف بالوطواط، مباهج الفكر و مناهج العبر. ن شر : الدار العربية للمو سوعات - بيروت - ١٤٢٠-٢٠٠٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.عبد الرزاق أحمد الحربي. جزء ١ صفحة ٩٩ ــ ١٠٠

[2] أبو الحسن علي بن محمد. الشهير بالماوردي (المتوفى : ٤٥٠هـ). أدب الدنيا والدين، نشر: دار اقرأ - بيروت - ١٤٠٥-١٩٨٥ ، الطبعة : الرابعة ، تحقيق : محمد كريم راجح * جزء ١ صفحة ٢٨

وقد ذكر الإمام الجرجاني في "التعريفات" أقسام الموجودات وجعلها ثلاثة بقوله:" هذه ثلاثة أقسام نفوس علوية وهي الحقائق الأمرية، ونفوس سفلية وهي الخلقية، ونفوس وسطية وهي الحقائق الإنسانية، وللحق تعالى في كل نفس منها أمانة منطوية على أسرار إلهية وكونية[1]

وهناك صنف من الخلق، وإن كان مدرجا تحت قسم من له عقل وشهوة ،إلا أن لهذا القسم طبيعة خاصة، وهو عالم الجن، فهم مخلوقون من نار. قال تعالى:{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ١٥]، وقال تعالى: {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ} [الحجر : ٢٧].و عن عائِشَةَ قالت قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم خُلِقتْ المَلَائِكَةُ من نورٍ وخُلِقَ الجَانُّ من مارِجٍ من نارٍ وخُلِقَ آدمُ مِمّا وصِفَ لكُمْ[2]

وإن كان هذا الخلق (الجن) يتشابه مع الإنسان في كونه متصفا بالعقل والشهوة إلا أن طبيعة تكوينه لا تتسم بالاستقرار والوسطية التي تميز بها تكوين الإنسان، بخلاف طبيعة الجن المضطربة، فقد سمي "مارجاً لاضطرابه وسرعة حركته"[3]"وخلق الجان من مارج من نار؛ لكونه اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم" [4].

مكونات خلق الإنسان:

من يتأمل طبيعة خلق الإنسان يجد أنها جاءت واقعة بين طرفين، هما:

أولا: الملأ السفلي (الحيوانات)، وهو مخلوقات من طين ومخلوقات من نار، قال تعالى:" {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ}.

---

١ علي بن محمد بن علي الجرجاني. التعريفات، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري. جزء ١ صفحة ٣١٤

٢ حديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه باب في أحاديث متفرقة.

٣ الماوردي. النكت والعيون جزء ٥ صفحة ٤٢٨

٤ أبو القا سم الح سين بن محمد. المفردات في غريب القرآن،ن شر : دار المعرفة – لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني. جزء ١ صفحة ٢٦١

ثانيا: الملأ العلوي(الملائكة)، والروح، وهي مخلوقات من نور، قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص ٧١: ٧٢]، وقد اجتمعت في الإنسان بعض خصائص الطرفين، فهو ليس ملكا خالصا يسمو ويرتقي عن الماديات، وليس حيوانا خالصا ينحط في شهواته. فهو مخلوق يرتبط بالمادة، وفي نفس الوقت يسمو بروحه إلى السماء. أو بتعبير بعض مشايخ الصوفية: الإنسان كائن بائن، عرشي فرشي. (١) أي ظاهر بجسمه مع الخلق، وباطن بروحه مع الله، ومتصل بالعرش، وعائش على الفرش (الأرض). {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا } [البقرة : ٢٢]

فتحقيق التوازن بين هذين الطرفين يجعل الإنسان في وضع الوسطية، فلا ينفلت إلى الأعلى فيفقد جسده، ولا ينجذب إلى الأسفل فيفقد روحه. وتلك ميزة لهذا المخلوق دون غيره جعلته جديرا بالتكريم بالعقل والتعليم. قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة : ٣١] وكرمه بالسجود. قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص ٧١: ٧٢] وجاء سجود الملائكة لآدم عليه السلام إيذانا بكونهم مسخرين له مع الكون كله. قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية : ١٣]

فتكريم الإنسان على سائر الخلق دليل على وسطيته، فكما أن خير الأمور الوسط، فخير الخلق أوسطهم وهو الإنسان. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء : ٧٠]

فما هي طبيعة طرفي الإنسان وما الوسيط بينهما؟

الطرف الأول: الطين

---

(١)شعيب بن إدريس الباكني: (ت:١٣٣٠هـ). طبقات الخواجكا نالنقشبندية. ت: عبد الجليل العطا. ط: دار النعمان للعلوم. دمشق. ١٩٩٦م. ص:٢٣٥،٢٠٥..ومحمد الخاني: البهجة السنية في آداب الطريقة العلية ط: دار الحقيقة استانبول ٢٠٠٢م، .ص:١٣ .

يُقصد بالطين جسم الإنسان، المكون من تراب وماء، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} [الروم : ٢٠]، وقد أحيا الله تعالى التراب بالماء، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء : ٣٠]، وبعجن التراب والماء صار طينا لازبا أي أسودا متغير الرائحة (حمأ مسنون)، ثم يبس الطين فصار صلصالا، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر : ٢٦]{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن : ١٤] وقال تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} [المؤمنون : ١٢]، بمعنى أن جسمه مكون من عدة عناصر مأخوذة من الطبيعة بنسب متفاوتة من الأكسجين وكربون وهيدروجين ونيتروجين وكالسيوم وفسفور وبوتاسيوم وكبريت وصوديوم وذهب وحديد وصوديوم ويود وماغنيسيوم وغيرها، ولهذه المواد دور هام للجسم لأداء وظائفه الحيوية، وقد أثبت العلم الحديث وجود هذه المواد في الطين بنسب متفاوتة ما جعله متصفا بالحيوية والاعتدال في الخلق، وأنه سبحانه وتعالى جعل الماء أغلبها مما يسهم في حفظ نشاط وحيوية جميع عناصر الجسم.[1] فللماء علاقة بكل كائن مخلوق، قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} [النور : ٤٥]

فخلق الإنسان من الطين يدل على أن الأرض ستكون مسقرا له، ففيها سيحيا وفيها سيقبر، ومنها سيبعث، قال تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه : ٥٥]، وقد رُوِيَ أن ملك الروم وجه إلى معاوية بقارورة، فقال: ابعث إليَّ فيها من كل شيء، فبعث معاوية إلى ابن عباس يستشيره في طلب ملك الروم، فقال له ابن عباس: لتملأ له القارورة ماء، فلما وُرَد بها على ملك الروم. قال: لله أبوه ما أدهاه! فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ فقال: لقول الله عز وجل: " وجعلنا من الماء كل شيء حي "[2]فحفظُ حياة كل شيء بالماء.

---

[1] د. محمد الرقعي. خلق الإنسان بين العلم والقرآن.. الدرار الجماهيرية للنشر والتوزيع. ليبيا بني غازي. ط. ١٤٢٥ ص:١٦.

[2] المبرد. محمد بن يزيد. الكامل في اللغة و الأدب،نشر: دار الفكر العربي – القاهرة – ١٤١٧-١٩٩٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. جزء ٢ صفحة ٨٦

وخلق الإنسان من طين يبطل نظرية التطور القائلة بأن أصل الإنسان قرد، بمعنى أنه تطور من الأدنى إلى الأعلى، مع أن القرآن الكريم ذكر مسخ بعض الناس إلى قردة وخنازير، وهذا تحول من الأعلى إلى الأدنى، كما حدث مع بني إسرائيل الذين مسخهم الله تعالى إلى قردة وخنازير لغضبه تعالى عليهم. قال تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة : ٦٠][1]

الطرف الثاني: الروح

بعدما مر تكوين الجسم بمراحله، بعجنه أولا من التراب والماء، ثم أخذت السلالة من الطين، وبقيت فترة حتى تغيرت إلى حمأ مسنون، ثم يبس فصار صلصالا كالفخار، إلى أن تمت تسوية الجسم وتعديله كما في قوله تعالى{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الانفطار : ٧] فصار صالحا لحلول الروح فيه، ومستعدا لخدمة الروح وتلبية مطالبها، فصار الجسد بمثابة الجهاز الكهربائي الذي صار مهيئا للتوصيل بالتيار الكهربائي فيعمل بمجرد إطلاق الكهرباء فيه. فالروح للجسد بمثابة الكهرباء للجهاز، فلن يستطيع العمل بدونها، ٢ فالروح أو النفس كما أطلق عليها الأقدمون "كمال أول لجسم طبيعي آلي"[3]وبنفخ الروح فيه صار الإنسان خلقا آخر كما فيقوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون : ١٤]

---

[1] انظر: د. منال جلال. الإعجاز العلمي في قوله تعالى:" وما من دابة..." من المؤتمر العالمي الثامن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. ص.١٨٨

[2] د. محمد الرقعي. خلق الإنسان بين العلم والقرآن.. الدرار الجماهيرية للنشر والتوزيع. ليبيا بني غازي. ط. ١٤٢٥ ص:١٧.

[3] عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، نشر : دار الجيل – لبنان – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة . جزء ٢ صفحة ٥٣٣

" وفي هذا دلالة على أن الروح شيء مغاير للتغيرات التي حدثت للجسم أثناء تكونه.... فقد ميز الله تعالى بين الخلق وبين التسوية و نفخ الروح. قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص : ٧٢]" [١]

فالجمع بين الطين والروح في خلق الإنسان هو تمام كمال هذا المخلوق ووسطية، باعتبارهما أكرم طرفين في الكون، فالإنسان جسد وروح معا، وليس كما يزعم الماديون أنه مجرد جسم ذو وظائف ميكانيكية، فامتلاك الإنسان لروحه وحفاظه عليها هي السبيل الوحيد لمواجهة طغيان المادية عليه.

الوسيط بين الطرفين (العقل)

فالمعاني اللغوي للعقل تدور حول الإدراك والسيطرة والتحكم والربط. "فالعَقْلُ : التَّثَبُّت في الأُمور، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه وقيل : العَقْلُ هو التمييز الذي به يتميز الإِنسان من سائر الحيوان ويقال : لِفُلان قَلْبٌ عَقُول ولِسانٌ سَؤُول وقَلْبٌ عَقُولٌ فَهِمٌ و عَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلاً : فَهِمه" [٢].

والعقل أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على الإنسان، فبه يتأمل ويتدبر في نفسه وفي الكون ليدرك أسرارهما؛ ليقوم برسالته في الحياة{{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران : ١٩٠ - ١٩١]فالعقل يمثل الواسطة بين مطالب الجسم وبين مطالب الروح. فيغذيهما بالماديات وبالفضائل في ضوء التعاليم الإلهية. فوظيفة العقل معرفة الخير والشر. ولا يسمى الشخص عاقلا إلا إذا " عرف الخير فطلبه، والشر فتركه" [٣] فالعقل يعقل الشهوة فلا تنفلت إلى الحضيض، ويعقل الروح فلا تنسى متطلبات الجسد.

---

[١] د. محمد الرقعي. خلق الإنسان بين العلم والقرآن. ص:١٨.

٢ ابن منظور. لسان العرب جزء ١١ صفحة ٤٥٩

٣ ابن تيمية . الفتاوي. كتاب الإيمان٧/ ٣١

كما أن العقل جعل الإنسان هو "الكائن الوحيد المميز عن سائر المخلوقات الحية الأخرىٰ والقادر علىٰ استخلاص أشد أنواع المعرفة تجريدا بعمليات ذهنية في غاية من التعقيد، ولا حدود لاطلاقاته في هذا السبيل. "[1] كما أنه الكائن الوحيد الذي تصدر عنه الأفعال عن إرادة وفكر.

فخلق الإنسان من طين ورح جعله كائنا ذا طبيعتين" تتعلق إحداهما بعالم الزمان والمكان (العالم المادي) " وتتعلق الأخرىٰ بعالم غير مادي ...ينزع إليه بشعوره وعقله نزوعا فطريا"[2]. مما يجعله قمة الموجودات في هذا العالم. وأنه صورة مصغرىٰ للكون كله جامعة لأسراره، حتىٰ أطلق العلماء عليه" العالم الأصغر"[3]

فقد جعله الله تعالىٰ محور هذا الكون، فسخر له كل شيء{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًىٰ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [لقمان : ٢٠]، وقال تعالىٰ:{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية : ١٣]

فتحقيق وسطية التكوين من هذين القطبين المتباعدين حقق للإنسان التوازن النفسي والجسمي لتستقيم حياته، ولهذا فالإنسان خير المخلوقات. باعتباره "الجسم الكلي الجامع للحقائق الروحانية وموضع تجلي الذات الأحدية، فهو شجرة وسطية لا شرقية ولا غربية أصلها في الأرض السفلية وفرعها في السماوات العلوية[4].

---

[1] أبو الوفا التفتازاني. الإنسان والكون في الإسلام. دار الثقافة للنشر والتوزيع ط: ١٩٩٥. ص: ٦٩

[2] السابق ص:٧١

[3] محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية ، نشر : دار إحياء التراث العربي – لبنان – ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولىٰ جزء ١ صفحة ١٧٠ ، الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، جزء ٢٢ صفحة ١٠٠

[4] الجرجاني. التعريفات، نشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولىٰ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري. جزء ١ صفحة ١٦٥

فالكون المادي ـ وإن وسع جسم الإنسان ـ إلا أنه لا يمكن أن يسع روحه. قال ابن عطاء الله السكندري: "وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك"[1]؛ ولهذا كان من تكريم الله تعالى للإنسان أن جعله (وسطا في الخلق) أو على حد تعبير ابن عطاء الله " جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهره تنطوي عليك أصداف مكوناته"[2].

مظاهر وسطية خلق الإنسان

- **وسطية البنيان**

جاء بنيان جسم الإنسان وسطا بين مخلوقات الكون، فليس بنيانه عظيما كالجبال، أو كالحيوانات العملاقة، وليس ضئيلا كالحشرات. ولا يشبه خلقه صورة أي حيوان، ولم يجعله قبيحا قصيرا أو طويلا، وعدل زوايا أركانه، فلم يجعلها حادة ولا منفرجة، ولا تفاوت بين أعضائه، بل جعله معتدلا في الخلق، " لا تزيد رجل على رجل، ولا يد على يد . ودل على هذا قوله تعالى: " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " [التين : ٤][3].

ولم يجمع المولى سبحانه وتعالى لمخلوق قط التسوية والتعديل في الخلق إلا للإنسان، قال تعالى:{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الانفطار : ٧]، أما سائر المخلوقات الأخرى، فذكر لها التسوية فقط. قال تعالى:{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى : ٢] فالتعديل والتسوية "لا يكونان معاً إلا للإنسان لأنه سواه على صورة العالم وعدله عليه، ولم يكن ذلك لغيره من المخلوقين"[4]

---

[1] ابن عطاء الله السكندري. الحكم العطائية، نشر : دار الإيمان – دمشق – ١٤٠٦هـ –١٩٨٦ م ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الرحيم. جزء ١ صفحة ٢٨٨

[2] ابن عطاء الله. الحكم العطائية. جزء ١ صفحة ٢٨٨

[3] أبو محمد مكي بن أبي طالب. الهداية الى بلوغ النهاية،نشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – الشارقة–الإمارات العربية – ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، الطبعة : الأولى، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي. جزء ١٢ صفحة ٨١٠٢

[4] ابن عربي . محيي الدين. الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكية. نشر : دار إحياء التراث العربي – لبنان – ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى جزء ٣ صفحة ٢٩٠.

كما أن مراحل تكوين الإنسان وتطوره تختلف عن كل الكائنات. فبدأ{نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى} [القيامة : ٣٧] في رحم أمه، ثُمَّ صار عَلَقَة ثُمَّ مُضْغَة مُخَلَّقَة وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ، وَقرّه فِي الْأَرْحَامِ مَا شَاء إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ أخرجه طِفْلًا ثُمَّ بلغ أَشُدَّه، ثم صار شيخا، إلى أن يتوفاه الله تعالى. وقد أوصى الله تعالى الوالدات أن{ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } [البقرة : ٢٣٣]، وَجعل حَمْلهُ وَفِصَالهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}،{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف : ١٥] أعطاه كمال العقل والحلم، وتلك هي مرحلة النضج التام. وليس ذلك لأي من مخلوقات الله تعالى الأخرى. فتلك المراحل من التكوين لبناء جسم الإنسان جعلت بنيانه وسيطا في الخلق.

- **وسطية العيش والسلوك**

وهب الله تعالى جسم الإنسان القدرة على التكيف للعيش في كافة الأجواء الباردة والحارة، بخلاف الحيوانات التي تعيش في أجواء باردة فقط أو في أجواء حارة فقط، كذلك لم يجعل الله تعالى الإنسان " من الموجودات التي تظهر على الأرض ثم تضمحلّ أو تنقرض في زمن قريب، وجمع له بين حسن الإيجاد وبين حسن الإمداد، فجَعل ما به مددَ الحياة وهو الرزق من أحسن الطيبات على خلاف رزق بقية أنواع الحيوان"[1]. فجمع الله تعالى للإنسان جمال الصورة وطيبات الرزق، بعد أن سخر له ما في الأرض والسماء، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٤]، كذلك ستره الله تعالى باللباس الذي يغطي سوأته ويحفظ شرفه، وهذا تكريم للإنسان دون سائر الكائنات، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف : ٢٦]

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير، نشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م ، الطبعة : ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور.جزء ٢٤ صفحة ١٩١

كذلك كرم الله تعالى الإنسان بقبر جسده بعد وفاته تعظيما لجثمانه، قال تعالى: {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ} [عبس : ٢١]، أي: جعله كائنا مقبورا "جعل له قبرا"[1]، فعلمه كيف يهيء المقابر التي يُدفن فيها بعد موته، {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [المائدة : ٣١]، فتخصيص الإنسان وحده دون سائر الكائنات بنعمة للباس والإقبار مظهر من مظاهر الوسطية والخيرية والتكريم.

ولقد فطر الله تعالى الإنسان ولديه ميل إلى الشهوات، قال تعالى:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران : ١٤]، فأحل الله تعالى له تلبية غرائزه بضوابط معينة؛ لأن ذلك من ضرورات حياته البشرية، فطلب منه الوسطية في تحقيق التوازن بين مطالب الجسد وبين مطالب الروح، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص : ٧٧]، أما من ينساقون وراء الشهوات ويغرقون أنفسهم فيها، فقد انحرفوا عن الوسطية، وأمثال هؤلاء قال الله تعالى عنهم: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد : ١٢]

فمن حقق الوسطية بين مطالب المادة وبين مطالب الروح فقد اتصف بالخيرية. وهذا حال المؤمن المتوازن الذي يدعو الله تعالى دائما بقوله: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة : ٢٠١]، فمن الغلو ترك متطلبات الجسد، والاقتصار على مطالب الروح، روى أَنَسَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه يقول جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بيُوتِ أَزْوَاجِ النبي صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبي صلى الله عليه وسلم فلما أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي صلى الله عليه وسلم قد غُفِرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ قال أَحَدُهُمْ أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وقال آخَرُ انا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ وقال آخَرُ أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فجَاءَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كذا وكذا أَمَا والله إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ له لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ

[1] الإمام البخاري. الجامع الصحيح. باب تفسير سورة "عبس"

فمَنْ رغِبَ عن سُنّتِي فَلَيسَ منِّي"[1].وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مراعاة لطبيعة الوسطية في الإنسان.

- **وسطية السلوك**

الأصل أن تأتي أفعال الإنسان ممثلة لوسطيته في الكون، فهو مخلوق من خير مكونات الكون، وهذا يدل على أن طبيعته خيرة وطيبة في أصلها، وفعله للشر أمر طارئ عليه، إما بسبب الجهل، أو بسبب الخطأ والنسيان، أو لتأثره بالبيئة المحيطة به.فقد اقترف آدم عليه السلام الخطأ لنسيانه عدواة الشيطان له،{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه : ١١٥]، {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ} [طه : ١١٧]، فآدم عليه السلام مفطور على الخير، وجاء ضلال الشيطان له أمرا عارضا.

وقد أودع الله تعالى في طبيعة الإنسان الاستعداد لمعرفة الخير والشر وفعلهما، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس ٧: ٨]

فتزكية الإنسان لنفسه تمثيل للوسطية، فكلما تنازعه نفسه لتأخذه إلى حضيض الشهوات، يزكيها ويضعها في مقام الوسطية، فيأخذ من الرغائب والشهوات ما يعينه على الطاعات ويوصله إلى تقوى الله تعالى.

" فكما خلق الله تعالى الملائكة على أكمل الأخلاق في جميع الأحوال، وفطر الدواب على حد لا يقبل كمال الخلق، كذلك خلق الإنسان على أساس الخير والشر وجعله قابلاً للزيادة منهما على اختلاف مراتب عقول أفراده وما يحيط بها من الاقتداء والتقليد، وخلقَه كامل التمييز بين النعمة وضدها ليرتفع درجاتٍ وينحط دركات مما يختاره لنفسه، ...ولكن الله لم يسُدَّ على الإنسان منافذ الكمال فخلقه خلقاً وسطاً بين المَلَكِيَّة والبهيمية إذ ركبه من المادة وأودع فيه الروح ولم يُخَلِّه عن الإرشاد بواسطة وسطاء وتعاقبهم في العصور وتنَاقُل إرشادهم بين الأجيال ، فإن اتبع إرشادهم التحق بأخلاق الملائكة حتى يبلغ المقامات التي أقامته في مقام الموازنة بين بعض أفراده وبين الملائكة في التفاضل.

---

[1] حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.

وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه : ١٢٣]"[1]

- **مظاهر الانحراف عن الوسطية**

1 - **الانحلال الأخلاقي**

من مظاهر الانحراف عن الوسطية: الانحلال الأخلاقي.

فوقوع الإنسان في الآثام وارتكابه للفواحش، هذا أمر طبيعي متعلق بنزعته الطينية، التي يخلد إليها أحيانا في غفلة منه، أو لغلبة شهوته عليه، قال تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ...} [النجم : ٣٢]. فجاءت مغفرة الله تعالى الواسعة لعلمه سبحانه بطبيعتنا الطينية التي تغلبنا أحيانا فنقترف الآثام والمعاصي.

فطغيان الشهوة وغلبة الأهواء خروج وانحراف عن الوسطية، وهنا يأتي دور العقل لإعادة النفس إلى وضع الوسطية بتذكيرها بمغبة اتباع الهوى، وأن في ذلك هلاكها. قال تعالى: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى} [طه : ١٦]، وأن في مخالفة الهوى نجاتها، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات : ٤٠ - ٤١]

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. نشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م، جزء ٢٥ صفحة ١٣٧

2 - **الغلو في الاعتقاد والإلحاد**

من مظاهر الانحراف عن الوسطية الغلو في الفكر والاعتقاد والإلحاد، ويرجع الغلو في الاعتقاد إلى عدم العلم وعدم التدبر وعدم اتباع أهل الهدى والرشاد من الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [الحج : ٨]، ويرجع الغلو كذلك إلى اتباع أهل الضلال واتباع خطوات الشيطان. قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} [الحج : ٣].

ومن أمثلة الغلو في الاعتقاد: غلو اليهود حين تجرأوا على الله تعالى فوصفوه بصفات لا تليق بالبشر، فقالوا إن الله فقير،{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران : ١٨١]، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } [المائدة : ٦٤].

وغالى النصارى في المسيح عليه السلام، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة : ٣٠]

وغالى المشركون، فـ{جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام : ١٠٠]، {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ } [إبراهيم : ٣٠].

وغالى الملحدون فأنكروا وجود الخالق سبحانه وتعالى، وأنكروا نعمه وأعرضوا عنها، قال تعالى{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل : ٨٣]{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف : ١٠٥]، فبتلك المغالاة في الاعتقاد والفكر خرج هؤلاء جميعهم عن الوسطية.

أما المسلم فيعظم الله تعالى دون تقصير، ويعظم الأنبياء دون مبالغة، محققا الوسطية في الاعتقاد، فيرتل دوما {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة : ٢٨٥].

لذلك كانت الوسطية للمسلم هي الصراط المستقيم، الطريق الوسط {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة : ٧].

□

- **وسائل الحفاظ على الوسطية:**

أولاً: النظر والتدبر

النظر والتدبر في الكون من وسائل الحفاظ على الوسطية، ففي ذلك ارتباط بالملأ الأعلى، قال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: ١٠١]، فكلما ازداد الإنسان تأملا وتدبرا في الكون والنفس والحياة ازداد علما، وكلما ازداد علما ازداد إيمانا وخشية وقربا من الله تعالى. {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر : ٢٨]. فالإيمان بالله تعالى أُولى دعائم الحفاظ على الروح؛ ولهذا كان الإيمان أول أمر دعا الله تعالى إليه البشر، حين مسح الله تعالى على ظهر آدم {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف : ١٧٢]، وذلك حفاظا على أرواحهم من الانحراف والوقوع في مستنقع الكفر والشرك. فالإيمان بالله تعالى يربي في الإنسان خلق العزة. فيقول: ربي {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} [الشعراء : ٧٨ - ٨١]. ثم يؤمن بالله مالكا، فلا يملك أمره إلا الله، وهذا يربي فيه خلق الحرية، فلا يوقع نفسه في أسر ملوك الدنيا. {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة : ١٠٧]

ثم يؤمن بالله إلها معبودا واحدا ليس كمثله شيء، فلا ينحني إلا له سبحانه، وهذا يربي في الإنسان فخر العبودية. فقد من الله تعالى على رسله بذلك الخلق العظيم خلق العبودية، قال تعالى: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]، فكانوا عليهم السلام يفتخرون بذلك الخلق. فافتخر به عيسى عليه السلام. قال تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مريم: ٣٠]، وقال صلى الله عليه وسلم "أفَلَا أكُونُ عبْدًا شكُورًا"(١)

ولهذا وجهنا القرآن الكريم عند الاستعادة أن نستعيذ بالله تعالى ربا ومالكا وإلها. {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري باب قِيامِ النبي صلى الله عليه وسلم .

وَالنَّاسِ} [الناس : ١ – ٦] وكان سيد الاستغفار" اللهم أنت رَبِّي لا إِلَهَ إلا أنت خَلَقْتَني وأنا عَبْدكَ وأنا علىٰ عَهْدكَ وَوَعْدكَ ما استَطَعْتُ أَعوذُ بكَ من شرِّ ما صَنَعتُ أَبوءُ لك بنِعْمَتِكَ عليَّ وَأَبوءُ لك بذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فإنه لا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلا أنت" (١)

ثانيا: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.

وبعد الإيمان بالله تعالىٰ، يأتي الإيمان بالملائكة الذي يربي في الروح خلق الحياء والمراقبة. فلن يقدم المرء علىٰ المعاصي حياء من الملائكة وخشية أن يسجلوا عليه زلاته، قال تعالىٰ: "{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق : ١٨]، وقال تعالىٰ: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الانفطار: ١١].

ثم الإيمان بالكتب يربي في النفس خلق التصديق، فلا نتكلم إلا بالدليل الواضح والحجج القاطعة، وألا نأخذ العلم إلا من صاحب البرهان الساطع والدليل القاطع، وقد ذم الله تعالىٰ الذين يجادلون بلا علم ولا كتاب، قال تعالىٰ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًىٰ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [الحج : ٨] لهذا أرسل الله الكتب مع أصحاب الرسالات، لتكون حجة لهم ومرجعية إلىٰ قومهم يستندون إليها دوما في نقاشهم.

ثم الإيمان بالرسل يربي في الروح خلق الاقتداء بالصالحين في الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه

ثم الإيمان باليوم الآخر يربي في الروح خلق الانتماء إلىٰ الآخرة، وعدم الركون إلىٰ الدنيا والزهد فيها، ويربي في الإنسان خلق المحاسبة للنفس ليقلل من ذنوبه قبل يوم الحساب. والعمل ابتغاء مرضاة الله، وإتقان العمل، فعندما يعلم أن أعماله ستعرض علىٰ الملأ في الآخرة، فإن ذلك سيدفعه إلىٰ تجويدها وتحسينها وإتقانها. قال تعالىٰ: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة : ١٠٥]،كذلك يدفعنا الإيمان بالآخرة إلىٰ إقامة العدل. فعلمنا بالحساب سيدفعنا إلىٰ أن نعطي كل ذي حق حقه. {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء : ٥٨]

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار.

ثم الإيمان بالقضاء والقدر يربي في الروح خلق الصمود أمام الأحداث والمصائب التي تواجهه، فلا يضعف إيمانها بالله تعالى، لكونها توقن بأن لكل أجل كتاب. حيث يؤمن الإنسان بأن كل شيء مخلوق يجري وفق علم الله تعالى وإرادته. ويربي فيها أيضا:

ـ الصبر على البلاء. وعلى قدر الله عز وجل، ولهذا بشر الله تعالى الصابرين على البلاء، فقال سبحانه:{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة١٥٦:١٥٥]

ـ والرضا والتسليم والامتثال لقضاء الله تعالى وقدره.، وهذا بدوره يبعث الطمأنينة في النفوس، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : "واعْلَمْ أنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتمَعَتْ على أنْ ينْفَعُوكَ بِشيْءٍ لم ينْفَعُوكَ إلا بِشيْءٍ قد كتبَهُ الله لك ولَوْ اجْتمَعُوا على أنْ يضُرُّوكَ بِشيْءٍ لم يضُرُّوكَ إلا بِشيْءٍ قد كتبَهُ الله عليْكَ رُفِعتْ الْأقْلَامُ وجَفَّتْ الصّحُفُ"(١) فالنفس المؤمنة التي تدرك أن المقادير تجري بأمر الله عز وجل، تنعم وتهدأ ولا تنشغل بشيء؛ لأن منهجها " { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة : ٢١٦]

ـ وعدم الجزع: فتعلم النفس المؤمنة أن ما قدر لها هو الخير، فلا تبطر بالنعمة ولا تجزع للمصيبة، قال صلى الله عليه وسلم:" عجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خيْرٌ ولَيْسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلا للْمُؤْمِنِ إن أصَابَتْهُ سرَّاءُ شكَرَ فكَانَ خيْرًا له وَإنْ أصَابَتْهُ ضرَّاءُ صبَرَ فكَانَ خيْرًا له"(٢)

ـ والأخذ بالأسباب وعدم الاعتماد عليها. وعدم اتهام القدر. فالأخذ بالأسباب واجب، وتركها معصية والإيمان بها شرك، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} [النساء : ٧١]

ـ والشجاعة، فالإيمان بالقدر ينزع الجبن من قلب الإنسان، فيدفعه إلى جهاد أعدائه بعد إعداد القوة، ودون أن ترهبه وسائلهم وأساليبهم، فهو يأخذ بأسباب القوة، ثم يتوكل على الله، مؤمنا بأنه لن

• ١رواه الترمذي في سننه، ٤ / ٦٦٧ وقال هذا حدِيثٌ حسَنٌ صحِيحٌ

٢أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

يصيبه مكروه إلا بقدر الله، وأنه لن يموت إلا بعد أن يستوفي أجله ورزقه، فلا يحذر من قدره." {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون : ١١] وما أحسن قول القائل:

بهذا يتضح لنا أن لكل ركن من أركان الإيمان دورا مهما في الحفاظ على روح الإنسان من أن تنحرف عن الوسطية، مما يعينه على مواجهة مصاعب الحياة.

ثانياً: التعبد

لقد أقام الإنسان المعابد تلبية لمطالب الروح، فلا توجد معابد لخلق آخر غير الإنسان في هذا الكون، ومرحلة التعبد تمثل الجانب العملي للسمو بالروح، وتوثيق صلتها بخالقها والخضوع له سبحانه، وهي تمثل مرحلة إظهار الشكر والثناء لله تعالى. وقد جاءت العبادة بعد المعرفة. قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١]فجاء الأمر الأول بالقراءة طلبا لمعرفة المعبود خالقا ومالكا ومعبودا، فتلك المعرفة هي التي تحقق القرب منه سبحانه وتعالى، لذا كان السجود على بساط القرب نتيجة للمعرفة، لهذا قال في آخر سورة العلق: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩].

فالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر وتسبيح ودعاء وغيرها غذاء للأرواح، وتزكية للنفوس فهي تملأ القلوب طمأنينة وتعلي من حالة الروح فتجعل صاحبها موصولا بخالقه سبحانه، فيشعر بعز العبودية.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت : ٤٥] ومعنى الآية: أن العبد إذا قام بين يدي الله عز وجل يناجيه بصدق وإخلاص، هان عليه كل ما في الدنيا، رغبة فيما عند الله ورهبة منه سبحانه، فيتباعد عن كل ما لا يرضي الله، فيهديه الله تعالى. والزكاة: للتزكية والتطهير للنفس. قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة : ١٠٣]، وهي سبيل للتخلص من البخل والتخلق بالكرم والبذل والعطاء. والصيام يورث التقوى؛ لما فيه من انكسار للشهوة وانقماع للهوى، فيردع الإنسان عن الأشر والبطر والفواحش ويهون عليه لذات الدنيا ورياستها. فالصوم يكسر شهوة البطن والفرج. فمن أكثر الصوم خفت عليه مؤونة البطن والفرج، فيرتدع عن ارتكاب الفواحش والمحرمات؛ لذلك قال الله

تعالىٰ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ١٨٣]

والحج هو مظهر اجتماع المسلمين ووحدتهم، والمسلم مطالب فيه بأعلىٰ درجات الأخلاق، فيمسك بلسانه فلا يفحش في القول، ولا يجادل ولا يعصي ولا يفسق. {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة : ١٩٧].

فبالنظر وبالإيمان وبالتعبد تتكامل المنظومة التربوية للحفاظ علىٰ حياة الإنسان المادية والروحية، فتتحقق الوسطية بالتوازن بين مطالب الجسد وبين مطالب الروح، فيأمن علىٰ نفسه وروحه، فتعلو القيم في المجتمع وتبقىٰ الأمم متماسكة، فبقاء الأمم وضياعها يُقاس بمدىٰ تمسكها بالأخلاق، أو بالقيم الروحية.

وقد صدق القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

وقال الآخر:

وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا.

ثالثاً: صيانة الجسم

الجسم هو ذلك الهيكل أو الوعاء الذي يحوي أجهزة وأعضاء الإنسان الداخلية من قلب وكبد ومعدة وأمعاء و غيرها، وأعضاءه الخارجية من رأس ويدين وساقين وقدمين وغير ذلك من الأعضاء، وهو محل الروح تسري في جميع أجزائه، به يتحرك الإنسان في الأرض لتعميرها، وتحقيق رسالته فيها.

وقد كرم الله تعالىٰ هذا الجسم، فأمر بصيانته عن أكل الحرام، فأمر بأكل الحلال الطيب من الطعام. قال تعالىٰ: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} [البقرة : ١٧٢]، وحرم أكل الخبائث كالخمر والميتة والخنزير وغيرها حفاظا علىٰ صحة الجسم. {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٥]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا

الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ٩٠]، وشرع التزاوج استمرارا لنوع الإنسان على الأرض، قال تعالى: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} [النساء : ٣]

وحرم الاعتداء على جسم الإنسان، وجعل النار عقاب لمن اعتدى عليه. قال تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء : ٩٣]، كما طلب الإسلام العناية بالجسم بالطهارة والغسل، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا } [المائدة : ٦]، وحرم الزنا، فقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء : ٣٢].

فبعناية الإنسان بجسمه ورحه وتحقيق الوسطية فيهما يستطيع القيام بوظيفته العظمى على أتم وجه وهي خلافة الله تعالى في الأرض. {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦] وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور : ٥٥]

فكان تشريف الإنسان بالخلافة دون سائر الخلق أدل دلالة على وسطيته وخيريته.

الخاتمة

ظهر في هذا البحث المعنى اللغوي للوسطية، بأنه الخيرية ، وتبلور المفهوم الاصطلاحي لها بأن الوسطية هي كل أمر واقع بين طرفين اجتمعت فيه محاسن كل منهما وانتفت عنه مساوئهما. وبتطبيق هذا المفهوم على الإنسان تبين أن تكوينه جاء من أخير طرفين في الكون هما: الطين والروح والعقل وسيط بينهما، وقد أتى هذا التكوين محققا لمظهر وسطية الإنسان في الخلق، وقد تجلى هذا المظهر في بنيانه وفي طريقة عيشه وسلوكه، كذلك كشف هذا البحث عن بيان أهم أسباب الانحراف عن الوسطية، وهي: الانحراف الأخلاقي الذي سببه الرئيسي طغيان الشهوة والخضوع للأهواء، وكذلك الانحراف العقدي والفكري الذي سببه الجهل وعدم اتباع أهل الرشاد، واتباع الشيطان. كما بين البحث وسائل الحفاظ على الوسطية، وتمثل ذلك في النظر والتدبر والتعبد وصيانة الجسم.

المصادر والمراجع

١ـ أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

٢ـ الترمذي. محمد بن عيسى. الجامع الصحيح سنن، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون

٣ـ ابن إسحاق. سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، نشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق : محمد حميد الله.

٤ـــ أبو إسحاق برهان الدين ، المعروف بالوطواط، مباهج الفكر و مناهج العبر. نشر: الدار العربية للموسوعات – بيروت – ١٤٢٠–٢٠٠٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.عبد الرزاق أحمد الحربي.

٥ـ البخاري. محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، نشر: دار ابن كثير اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

٦ـ الجرجاني. التعريفات، نشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري.

٧ـ ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري، نشر : دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب.

٨ـ أبو حيان الأندلسي.محمد بن يوسف الشهير ، تفسير البحر المحيط ، نشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمدالنجولي الجمل.

٩ـ السمرقندي. نصر أبو الليث. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم،نشر : دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمودمطرجي.

١٠ـ شعيب بن إدريس الباكني: (ت:١٣٣٠هـ). طبقات الخواجكانالنقشبندية. ت: عبد الجليل العطا.ط: دار النعمان للعلوم. دمشق. ١٩٩٦م. ص:٢٣٥،٢٠٥..ومحمد الخاني: البهجة السنية في آداب الطريقة العلية ط: دار الحقيقة استانبول ٢٠٠٢م،

١١ـ عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف،نشر : دار الجيل – لبنان – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة .

١٢ـ ابن عطاء الله السكندري. الحكم العطائية،نشر : دار الإيمان – دمشق – ١٤٠٦هـ –١٩٨٦ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الرحيم.

١٣ـ علي بن عبد الكافي السبكي. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : جماعة من العلماء.

١٤ـ علي بن محمد بن علي الجرجاني. التعريفات، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري.

١٥ـ أبو الفضل العراقي، في المغني عن حمل الأسفار، نشر: مكتبة طبرية – الرياض – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أشرف عبد المقصود.

١٦ ـ أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن،نشر: دار المعرفة – لبنان ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

١٧ـ الماوردي .أبو الحسن. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – لا يوجد ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

١٨ـ الماوردي .أبو الحسن. أدب الدنيا والدين، نشر : دار اقرأ – بيروت – ١٤٠٥–١٩٨٥ ، الطبعة : الرابعة ، تحقيق : محمد كريم راجح .

١٩ـ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير .معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول ، نشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان – القاهرة – ١٣٩٢ – ١٩٧٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط.

٢٠ـ المبرد. محمد بن يزيد. الكامل في اللغة و الأدب،نشر: دار الفكر العربي – القاهرة – ١٤١٧-١٩٩٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢١ـ محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير، نشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م ، الطبعة : ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور.

٢٢ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب. الهداية الى بلوغ النهاية،نشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – الشارقة-الإمارات العربية – ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي.

٢٣ـ محمد بن حبيب البغدادي. المنمق في أخبار قريش، نشر : عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : خورشيد أحمد فارق.

٢٤ـ د. محمد الرقعي. خلق الإنسان بين العلم والقرآن.. الدرار الجماهيرية للنشر والتوزيع. ليبيا بني غازي. ط. ١٤٢٥

٢٥ـ محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكية ، نشر : دار إحياء التراث العربي – لبنان – ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى .

٢٦ـ مسلم بن الحجاج النيسابوري. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ، الطبعة : ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

٢٧ـ د. منال جلال. الإعجاز العلمي في قوله تعالى:" وما من دابة..." من المؤتمر العالمي الثامن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢٨ـ ابن منظور، لسان العرب. نشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى.

٢٩ـ ابن هشام، السيرة النبوية.نشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١١ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد.

٣٠ـ أبو الوفا التفتازاني. الإنسان والكون في الإسلام. دار الثقافة للنشر والتوزيع ط: ١٩٩٥.